

الفقر والكحول والسياسة وعربة الأطفال.. ألد أعداء الكاتب ما ينبغي على المرء فعله كي لا يكون كاتباً

الآلاف من المصريين يحجزون لحضور معرض الكتاب

القاهرة - تستعد العاصمة المصرية القاهرة خلال هذه الأيام لتدشين أكبر حدث ثقافي في المنطقة العربية منذ بدء جائحة فيروس كورونا حيث تنطلق الدورة الـ52 لمعرض القاهرة الدولي للكتاب مع توقعات باستقبال نحو 1.5 مليون زائر.

وكان المعرض يقام في بداية كل عام بالتزامن مع إجازة منتصف العام الدراسي، لكن وزارة الثقافة المصرية أجلته إلى نهاية شهر يونيو الجاري بالتنسيق مع وزارة الصحة ووفقاً لقرارات مجلس الوزراء.

وأفادت وزيرة الثقافة المصرية إيناس عبدالدايم في مؤتمر صحفي أخيراً بأن دورة المعرض هذا العام ستقتصر على بيع الكتب فقط، بينما تقام الفعاليات والأنشطة عبر منصة إلكترونية استحدثت خصيصاً لمواكبة الظروف الوبائية الحالية.

ويقيم المعرض في مركز مصر للمعارض الدولية بشرق القاهرة على مساحة 40 ألف متر تحت شعار "في القراءة.. حياة" ويبلغ إجمالي عدد الناشرين والجهات الرسمية المصرية والأجنبية والتوكيلات في المعرض 1218 من دولة.

وقال هيثم الحاج علي رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب، المنظمة للمعرض، في مؤتمر صحفي إن المعرض سيفتح رسمياً في الثلاثين من يونيو ويبدأ في استقبال الجمهور اعتباراً من الأول من يوليو وحتى الخامس عشر من الشهر ذاته.

وأضاف أن المعرض سيفتح أبوابه يومياً من العاشرة صباحاً إلى العاشرة مساءً باستثناء يوم الجمعة سيبدأ من الواحدة ظهراً مع السماح فقط بدخول حملة التذاكر المحجوزة عبر المنصة الإلكترونية ويحد أقصى 100 ألف زائر على مدى اليوم.

وفي وقت لاحق قالت وزارة الثقافة المصرية إن المنصة الإلكترونية للمعرض، التي تم تدشينها خلال المؤتمر الصحفي، استقبلت في الساعات الأولى أكثر من 17 ألف طلب تذكرة دخول.

وقال محمد رشاد رئيس اتحاد الناشرين العرب، إن معظم معارض الكتب في العالم إما الغيت أو أقيمت عبر المنصات الإلكترونية بينما لم تعدد سوى ثلاثة معارض عربية منذ بداية 2021.

وأضاف أن معرض القاهرة الدولي للكتاب له خصوصية باعتباره أحد أكبر المعارض على مستوى العالم ويأتي إليه الزوار من مختلف الدول، مؤكداً أن الناشرين والموزعين وأصحاب المطابع في مختلف الدول يعتبرونه ملتقى للنقاش والإطلاع على أحدث المستجدات بصناعة النشر.

وقال "مهما قدم أي معرض للناشرين تظل لمعرض القاهرة خصوصيته، ومثال على ذلك تضامن إدارة المعرض مع الناشرين اللبنانيين الذين سيعاملهم المعرض معاملة المصريين من حيث سداد قيمة إيجار الأجنحة بالجنيه المصري بسبب الأزمة الاقتصادية التي يعيشها لبنان".

وأضاف "لدينا تفأول كبير ونتمنى النجاح للمعرض في ظل هذه الظروف الاستثنائية"، مشيراً إلى أن إدارة المعرض أكدت لاتحاد الناشرين العرب حصول العارضين القادمين من الخارج على تأشيرات الدخول اللازمة إلى مصر مع تسهيل إجراءات الفحص اللازم للكشف عن فيروس كورونا.



المعرض يحاول إنقاذ صناعة النشر

هل أنت ميال إلى أحلام اليقظة؟ هل تدمن الكحول والتدخين؟ هل تتعاطى السياسة؟ هل لك علاقة عاطفية أو عائلية؟ هل تحبّ الجدل والنقاش وحياة المجتمع الراقي والنجاح والظهور؟ هل أنت معدم تحتاج إلى عمل لكسب رزقك؟ إن كان الجواب "نعم"، فأنت غير مؤهل لأن تصبح كاتباً، وإن بدأت فسعيك ماله الفشل. تلك هي المخاطر التي يحذر منها أحد كبار النقاد الإنجليز سيريل كونولي في كتاب مثير.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

جرت العادة أن يضع النقاد أو الكتاب المتمرسون مصنفات ينصحون فيها ذوي المواهب الناشئة بالخطوات الواجب اتباعها لا لكتابة نص جيد فحسب، وإنما أيضاً للسفر في مجال الخلق بقدم ثابتة لا يعرفها تعثر أو عرج، على غرار النمساوي راينر ماريا ريلكه في "رسائل إلى شاعر شاب"،

والهياتي داني لأفيريير في "يوميات كاتب في بيجاما"، والأيرلندي كولوم ماكين في "رسائل إلى كاتب شاب"، والأميركي جون غاردنر في "فن التخيل، ملاحظات عملية للكتاب الشبان"، ولكن من النادر أن يتناول ناقد المسألة من زاوية أخرى، أي زاوية الفشل، لا النجاح، كما فعل سيريل كونولي (1903 - 1974) أشهر ناقد إنجليزي ما بين ثلاثينات القرن الماضي وسبعيناته.

في كتاب "أعداء الوعد" الذي نشره عام 1938، وصدرت ترجمته الفرنسية مراراً عن دور نشر مختلفة، أخرجها طبعه عن "الأدب الجميلة"، ولكن بعنوان مثير "ما ينبغي فعله كي يكف المرء عن أن يكون كاتباً"، يشن كونولي حرباً على ما أسماه "طفيليات النبوذ" ويعدّد الأوقات التي تهدّد الكتاب جميعاً، الشبان منهم والمتمرسين، فما من أحد في رأيه ينجح منها.

أربعة أخطار

أراد كونولي من كتابه أن يكون دروساً في فن الكتابة، ولكن بالتركيز على الفخاخ التي ينبغي الوقوع فيها إذا أراد الشاب أن يقتل موهبته، ويفقد الواعد وعده، وينقلب النجاح إلى إخفاق.

الطرف الأول تلك الفخاخ ليست كلها على صلة مباشرة بعملية الخلق، بل إن أكثرها ناتج عن الأجواء الحافة، التي يمكن أن تكون حجر عثرة في طريق كل ذي موهبة، لكونها تلهيه عن تخصيص مداركه وملكاته للإبداع وحده، وتشتت أفكاره، وتدفعه إلى إرجاء عمل اليوم إلى الغد، فيخثت الحماس والتوهُج، ويختبئ الدُفق الإبداعي.

وكان مارسيل بروست قد حذّر من مثل هذه العوالمات في رواية "في البحث عن الزمن الضائع"، حيث عدّد هو أيضاً الأنشطة الاجتماعية التي تبعد الكاتب الناس عن تحقيق ما يصبو إليه، كالمساجد، والواجبات الاجتماعية، والعلاقات العاطفية والصدقة، ولكنه استطاع بنبوغه أن يحول الحديث عن تلك المشاغل التي تبّه منها إلى عمل فني متميز، وهذا ليس متوافراً لكل شاب.

أول خطر يحذر منه كونولي الكاتب الشاب هو البحث عن أسلوب خاص، لأن الأسلوب في نظره نوعان: الأسلوب المنمّق الذي يكتنز التكثيف والإيحاء والترميز كما هو الشأن عند هنري جيمس ومارسيل بروست وجون راسكن، والأسلوب اليومي على غرار أسلوب هيمنغواي أو هنري ميلر وسواهما.

وفي رأيه لا سبيل لتفضيل أسلوب على آخر كيقينية مطلقة، لأن لكل منها إيجابيات وسلبيات، والحل أن يحسن الكاتب الاختيار في الطرف المناسب، لأن لكل مقام مقالاً، ولأن العمل الإبداعي يفرّض في الغالب أسلوبه، فلا يمكن أن

نصور أحداثاً في حيّ شعبي أبطالها زعران ولصوص ومنحرفون بلغة أثيلة، وأسلوب تقليدي، ومفردات قاموسية محض.

والخطر الثاني هو الفقر، فالنايغ المعدم سوف يُضطر إلى مزاوله ما أسماه كونولي "الأعمال الغذائية"، أي الكتابة لتأمين ضرورات الحياة، وكونولي لا يقلل من شأن الصحافة في حد ذاتها، ولكن يشير إلى أن إيقاعها يختلف عن إيقاع الأدب، وأن من تضطره الحياة إلى مراسها سوف يفقد الوقت اللازم لكتابة روايته أو مسرحيته وأشعاره.

أما الخطر الثالث فهو النشاط السياسي وعواقبه المحتملة في حالة النجاح أو الإخفاق على حد سواء. فإن نجح الكاتب تنكّر للغة وأسلوبه وصار يلقي الكلام على عواهنه، لأن الخطابة فن لا يتقنه كل راغب، وسوف يجد نفسه مرغماً على الاستعاضة عن صدقية القلم بحيل المنبر. وإن أخفق في مسعاه السياسي، سعى إلى نسيان خيبته بالخمر والمخدرات والعيش في المنفى، وفي أحسن الأحوال بأحلام اليقظة، التي لها شبه مخادع باليات الخيال البناء، فيظل يقدم ويؤخر طمعا في تدارك خيباته، وينسى أنه كان كاتباً واعدًا، تنبأ له بعضهم بمستقبل زاهر.

والخطر الرابع نجاح عمل أول، وحصول صاحبه على مكاسب قد تطمعه في المزيد، فينساق وراء الكمّ، ويهمل الكيف، فيأكل ما ينتجه لا

يرقى إلى العمل الذي لغت نحوه انتباه النقاد والقراء، وإذا هو يُخيب الجميع، يبدأ بنفسه.

خيانة الموهبة

يمضي كونولي في تعداد كلّ الأنشطة التي تحوّل الكاتب عن غايته كالرغبة في الترقّي الاجتماعي، والجنس، ومخالطة الأصدقاء، والحياة العائلية، وخاصة عربة طفل في البهو، التي يعتبرها من ألد أعداء الكاتب، وفيها إشارة إلى الالتزامات الأسرية التي يفرضها الأطفال على ربّ العائلة، وفقدان الهدوء الذي يحتاج إليه إذا هم بالكتابة.

وكونولي يخص الزّجل وحده بملاحظات وتحذيراته، ولا يأتي على ذكر المرأة الكاتبة، والحال أن ظروفها أعرس، فهي لا تعتني بعربة طفلها فقط، بل بالبيت وأهله، بمن فيهم الزوج. وحسبنا أن نعيد قراءة كتاب فرجينيا وولف "غرفة مستقلة" أو "غرفة" تخص المرأة وحدها، لنفهم ضالة عدد الكاتبات عبر التاريخ، قياساً بعدد الكتاب، وقلة حيلة المرأة الطامحة إلى الكتابة إذا لم تكن لها غرفة خاصة ومورد رزق خاص فضلاً عن متسع من الوقت.

ولعل أخطر العقبات جميعاً، ممّا لم يرد ذكره في كتاب كونولي، ما أورده هنري ميلر في رواية "مدار السرطان"، عن شخص غريب الأطوار يدعى فان نوردن، كان يريد أن يكتب، ولكنه يودّ قبل ذلك أن يقرأ كل ما كتب، كي لا يكرّر ما سبق أن تناوله غيره،



هناك أفعال على الكُتّاب تجنبها (لوحة للفنان بسيم الرئيس)

وبدل أن يُقبل على إنجاز مشروعه، راح يقرأ للكتاب الواحد بعد الآخر ويبيد رأيه فيهم، باحتقار في الغالب، لكونهم لم يلبوا انتظاره ولم يبلغوا النقطة - الذروة - التي حدّدها بنفسه لنفسه، وكانه أمام رف كبير من كتب تحمل اسمه، ناسياً أنه لم يكتب بعد فصلاً واحداً. فإذا هو كبطل حكاية "النّاسك والجرة" في كلية ودمنة.

عدة أنشطة تبعد الكاتب

عن تحقيق ما يصبو إليه، كالمأدب، والواجبات الاجتماعية، والعلاقات العاطفية والصدقة

ولئن ادّعى بعضهم بأن تصنيف الكتاب مرهق إلى أن كونولي نفسه كان كاتباً فاشلاً، فإن له الفضل على الأقل في تحذير ذوي المواهب مما حاق به، لأسباب كثيرة، لخصها في كتابه هذا دون أن ينسبها إلى نفسه، وأكد أن خيانة الموهبة جريمة، حيث كتب يقول "إن الجريمة الحق هي أن نُفلس من موهبتنا، ونجهد ذات الحصاد الذي ينبغي أن يكون، عند بلوغه النضج، استجابة للمتطلبات التي ينتظرها المجتمع من كتابه".

وعلى رأي إبراهيم طوقان في معارضته لشوقي، نقول "يا مَنْ يريد الانتحار وجثته / إن المؤلّف لا يعيش طويلاً"، ونضيف مستدركين: إذا لم يتوق تلك المخاطر التي قد تحكم على موهبته بخبؤ توجهها، قبل انطافئها تماماً.